القصص

٦ — شهر بالغردقة

تتمة

للاستاذ المرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

عبر جبل الشايب

كان من عادتي في أثناء الاقامة بالغردقة أن أقف ساعة في الصباح ومثلها في الاصيل امام نافذة الاستراحة اشاهد منها جبل الشايب لامتع النظر بجمال لا يراه عادة في جبال وادي النيل ، وكان منظر القمة وهي جاثمة فوق هامات الجبال في جلال وروعة ومن حولها قمم جبال أم عنبه ، وعتلم ، وكحيلة وغيرها ، كأنها الصغار حول الاب الجبار يوحي الى النفس بشعور الكبرياء والعظمة . وجبل الشايب لا يبعد عن

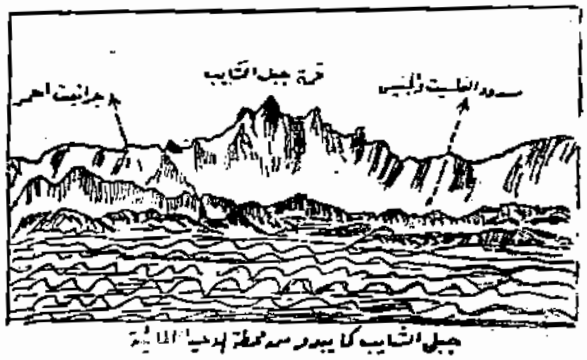

جبل الشايب كما يبدو من محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية كثيراً ، فالمسافة بينهما ٤٥ كيلومتراً تقطعها السيارة في نحو الساعتين في طريق ممهدة ، وقد ذهبنا اليه يوم الجمعة ٢١ يوليه في ثلاث سيارات تحمل احداها الخيام والزاد — كان اليوم زاكد الهواء شديد الحرارة ، فنصبنا الخيام فوق ربوة على سطح أم دلفة أ[illegible] جبل الشايب بالقرب من بئر أم دلفة ، والبئر عبارة عن حوض في جدار الجبل تظلله الصخور ، وينضح اليه الماء من شقوق وعيون في الصخر ، فاذا فاض الحوض تدفق ماؤه الى فجوة أسفله ، ومن الحوض يستقي الاعراب ، ومن الفجوة تشرب الابل والمواشي . والوادي حول البئر كثير العشب وافر الكلأ ، تظلله الاشجار وتسبح في جوه الطيور والعصافير

وبعد راحة قصيرة حاولت وبعض الرفاق التسلق الى قمة أم دلفة ، ولكن صعوبة المرتقى وحرارة الشمس جعلتا الصعود شاقا منهكا فاكتفينا بمرحلة متوسطة ، وعدنا أدراجنا ، وفي العودة التقيت عند البئر بشاب من سكان المنطقة وهو من عرب معاذة ، أسود البشرة ناحل الجسم ، دقيق العظم ، وكان معه جمل يحمله بقرب الماء : فقلت له يا أخا العرب : هل من وسيلة الى قمة الشايب فقال : ان الطريق اليها طويلة شاقة ، كثيرة الالتواء والعقبات لا يعرفها الا نفر قليل منا فلا تطمع في الوصول اليها وحدك ، ثم إن الصعود اليها يستغرق يوما كاملا ومثله للنزول . فقلت كيف ذلك؟ فقال هكذا يقول من صعد واليها — ثم سألته عن حال البادية فأجاب ، كرب وشدة ، فانحباس المطر احدى عشرة سنة متعاقبات أجدب الوديان حتى كادت تتعرى من الأخضر واليابس ، وغاض ماء الآبار وجف كثير من العيون ، وتفرقت البيوت فقوم منا لحقوا بوادي النيل ، وآخرون أوغلوا صوب الشمال ، وبقية بدا لها أن تتشبث بوطنها مثوى الآباء والأجداد ، برغم ما تعانيه من شظف العيش وما تلقاه من حرمان . يعملون هكذا فرارا من معرة الهجرة وهوان الارتحال . فقلت : وما بدا ذلك فقال ، سنبقى هنا بالتوكيد حتى يقضي الله أمره فينا . ثم أطرق برأسه وهو يقول فرج الله لا بد قريب ، فقلت صدقت يا أخي ، اصبر فان الله لا ينسى عباده ، فعلت وجهه ابتسامة اطمئنان ويقين . وبعد حديث طويل عن الجبال وأسمائها ومسالكها والعيون وأما كنها سألته عن حيوانات المنطقة . فأتاني فقال ، يعيش هنا

الغزال والتيتل والثعلب والارنب والخروف الوحشي ، والاخير كان كثيرا ، ولكنه رحل عنا منذ أجدبت الوديان . وعندنا من الطيور العصافير والغراب والصقر وغيرها ، ومن الحشرات الثعابين والعقارب والزنابير والخنافس والذباب والنحل وغيرها ، ومن النباتات الشيح والسيال (السنط) والثمام واليسر والقطة (ذات رائحة شديدة كريهة) والحرجل (يستعمل دواء للنفس) والحلبات والمرغادة والأراك وغيرها

قلت ، وهل تستفيدون من هذه النباتات ، فقال نعم ؟ فلكل نبات فائدة نعرفها . ثم اننا نجمع الشيح ونبات المسواك وحب اليسر ، ونبيعها فى قنا ، ومن خشب الطرفا ، وهى شجرة الاثل نصنع الفحم وقد كانت له سوق رائجة ، ولكن الطلب عليه الآن قليل . ثم قال انا قوم ذوو همة نتاجر فى الاغنام والابل ، وننقل التجارة على الجمال من قنا الى القردقة ، ونستخرج بعض المعادن من الجبال ونبيعها فى السويس ، وهكذا ، فاذا كانت المراعى قد أجدبت فان نشاطنا لم يضعف وعزيمتنا لم تفتر

وجبال الشايب وما حولها تبدو من القردقة متلاصقة وقممها متجاورة الا أنها فى الحقيقة متباعدة تخترقها الوديان والسهول وتشقها مجارى السيول فى كل صوب . وعند الاصيل انطلق الهواء واعتدل الجو فتفرقنا بين الجبال وأخذ بعضنا يتبارى فى الرماية بالبنادق واصابة الهدف ، وقبيل الغروب عدنا بسلام

من القردقة الى قنا

قضينا الاسبوع الأخير من اقامتنا فى القردقة فى إعداد الصناديق وحقائب السفر استعداداً للعودة . وكانت الأيام تمر سراعا ، ويوم الرحيل يدنو مسرعا ، وقد أشفقت أن نعود من غير أن أتمكن من الذهاب الى قنا عن طريق الجبل ، ولكن تهيأت الفرصة قبل الرحيل بأيام قلائل فحمدت الله على توفيقه .

وطريق الجبل الى قنا طويل شاق تقطعه السيارات عادة فى ثلاث مراحل : الأولى من البحر الى مدخل الجبال وطولها نحو ٤٠ كيلومتراً ، وهى عبارة عن ساحل كثير الحزون والتلال ، والمرحلة الثانية منطقة الجبال نفسها وطولها ٧٠ كيلو متراً . والمرحلة الثالثة من باب مخيتق الى قنا فى وادى قنا العظيم وطولها مائة كيلو متر

وتشتد الحرارة صيفاً فى الطريق أثناء النهار لدرجة لا تطاق

فكان لابد لنا من القيام من القردقة ليلا : ففى الساعة الثالثة صباحا كانت تسير بنا السيارات نحو الجبال فى طريق صاعدة كثيرة العقبات . وكان الظلام حالكا ، والسكون رهيبا شاملا ، وهواء الليل بارد أمتعشا ونحن جلوس فى صمت عميق ، شاخصة أبصارنا نحو مقدم السيارة تتابع ضوءها الكشاف وهو يجلو أمامها الطريق ، والسيارة تجاهد مندفعة بسرعة أربعين ، والسواق رزين قد استجمع كل حواسه فى عينيه ، وكل قوته فى يديه وقدميه ، يقودها باهتمام وحذر ، يتلمس الطريق فى جوف الليل بمهارة وحذق نادرين — مرت علينا هكذا ساعتان ثم لاحت تباشير الفجر وقد دخلنا منطقة السدود ، فكان الطريق بيننا خطرا يتلوى فى ضيق وانفراج ، ثم بزغت الشمس على القمم والروابى فكان منظرا بديعا حقا : فجبال شاهقات قائمات فى استقامة كالجدار ، تعلوها هامات كالسهام تناطح السحاب ، وقد بدت اطرافها فى بوادر الشفق حمراء قانية كأنها تتوقد فى أتون من نار ، والجبال من تحتها والثنايا والحنايا من حولها فى لون ازرق داكن كأنها الدخان الكثيف — ثم علت الشمس . واصفرت الاشعة فبدت القمم كأنها اهرام من ذهب فوق قواعد من رصاص ، واخيرا انفسح

الظلام واشرق النور فتوارى جمال السحر لينجلى جمال الطبيعة فى حلة الصباح، فكان أشد فتنة وابلغ اثرا — كنا حينئذ نسير فى وادى (بلى) وعن يميننا جبل الدخان (١٨٠٠ متر) وعن يسارنا جبل القطار والوادى بينهما ضيق عميق يخترق الجبال من الشرق الى الغرب ، وهو كثير العشب والاشجار ، وقد أقام الرومان على مدخله من جهة البحر قلعة للحراسة ، وهى الآن انقاض لم يبق من معالمها الا الجدران - ويتفرع من وادى بلى عند وسطه وادى البديع ، وهو يخترق جبل الدخان وينتهى عند بئر البديع حيث توجد مناجم الحجر السماقى الامبراطورى ، وهو حجر جرانيتى دقيق الحبيبات لونه احمر قاتم قد صنعت منه طائفة كبيرة من أجمل التماثيل فى العصر القديم ، ولا يزال بوادى البديع آثار رومانية قديمة من مبان واستحكامات وطرق — ويتطرق وادى بلى الى وادى القطار وهو كسابقه فيه العشب وفيه الشجر ، وعند الكيلو متر ٦٥ تقوم استراحة بوليس مصلحة الحدود على راية بجانب الطريق ، وبالقرب منها بئر الامير فاروق ومائها عذب غزير ، ويخرج من وادى القطار عند الاستراحة طريق يؤدى الى سطح جبل القطار حيث مناجم المولبدات . وهى لشركة طليانية بقيت تستغلها سنوات طويلة ، ولكنها منذ سنتين توقفت عن العمل وصرفت العمال ، ولم يبق بمركزها سوى المهندس وهو شيخ طليانى طابت له الاقامة ففضل البقاء وحده وسط هذه الجبال - فتأمل - وبلى والقطار من اجمل الوديان والطريق فيهما مرسوم يحاذى الجبال فى تعاريج كثيرة بين صعود وهبوط ، والجبال هنا موحشة جدا تحمل فى طياتها وعلى جدرانها طوابع العصور الطويلة التى تعاقبت ، والكوارث التى نزلت بها تفتت وتهشيم وتصدع وانكسار والتواء وتعرية

وصلنا ممر محيق قبيل الساعة السابعة ، ثم نحدرنا منه الى وادى قنا ، وهنا تغيرت معالم الطريق وطبيعة الجبال ، فاصبح الوادى أكثر اتساعا والجبال أقل ارتفاعا ، واختفت الجبال القديمة وظهرت هضاب الجبال الكلسية التى تمتد الى وادى النيل — وبعد أن مررنا بجبل (نجع الطير) ثم بجبل (ابى حد) وطاية الحيط ، وصلنا بير (عراس) وهنا زاد الوادى انفراجا وانبساطا ، وفى منتصف الساعة التاسعة وصلنا قنا ونزلنا ضيوفا على نقطة بوليس مصلحة الحدود

ولوادى قنا شهرة قديمة ، فقد كان طريق المصريين والرومان والعرب الى محاجر الجرانيت ومناجم المعادن وشواطىء البحر الاحمر ، ولوقوعه فى سفوح الجبال العالية فانه يتزع بالماء وقت الامطار الغزيرة ، وتفيض منه سيول جارفة تصب فى النيل عند قنا وتجلب معها كميات عظيمة من طمى ناعم يعرف (بالحيب) يصنع منه الفخار القناوى المشهور - واخترق وادى قنا امنية قديمة تعلقت بها منذ كنت ناظرا لمدرسة قنا فى سنة ١٩٢٣ وقد حاولت وقتها فى مرة ان امشى فيه يوما كاملا ، ولكن ضللت الطريق السوى لتشابه المسالك وجهل الدليل ، وبعد أن اقمنا بقنا ليلتين ويوما برحناها بعد نصف الليل بساعتين عائدين فى نفس الطريق فوصلنا الغردقة بعد شروق الشمس بقليل . وبعد يومين ودعنا الغردقة ومن فيها وابحرنا عائدين الى السويس ثم الى القاهرة

وأختم هذه الرحلة بتقديم خالص الشكر لحضرات - الدكتور كرسلاند مدير المحطة ، ومحمد بك حبيب مفتش منطقة البحر الاحمر ، وسيد افندى الحلاوى مساعده ، والدكتور محمود ابو زيد مفتش المناجم ، لما بذلوه عن طيبة خاطر من مجهود عظيم فى سبيل راحتنا ومساعدتنا ، ويلهج كذلك لسانى بالشكر الوافى لصديقى العالم الكبير الدكتور محمد عبد الخالق بك لما خصنى به من جميل العناية والرعاية ؟

الدمرداش محمد

شفاء البول السكرى

بنباتات مصرية — للسيدات والرجال

يتشرف مجلنا المؤسس فى سنة ١٩٨١ بالفات نظر الجمهور الى انه يوجد بالمحل دواء مركب من جملة نباتات خاصة لشفاء البول السكرى سواء أكان السكر فى البول فقط أو فى البول والدم معا (أرفق بطلبك اذن بوستة قيمة ١٠ قروش صاغ يصلك طلبك وطريقة استعماله مجانا

ابراهيم ابراهيم شافعى

بوكالة أبو زيد بالحزاوى بمصر تليفون ٤٥٤٧٩